التحولات التكوينية المفاهيمية للمصطلح النقدي السوسيولوجي من الإيديولوجيا إلى رؤية العالم

د/سليم بركان
جامعة سطيف 2

ملخص

تندرج هذه الدراسة الموسومة بـ: مسارات التكوينية المفاهيمية للمصطلح النقدي السوسيولوجي - من الإيديولوجيا إلى رؤية العالم -ضمن مجال الدراسات النقدية الأدبية السوسيولوجية المعاصرة، بحيث تنهض على الإشارة إلى بعض الأطر النقدية التي تستقيم عليها المصطلحية، كتداولية المصطلح النقدية، ومن ثم حفظ أطره المفاهيمية والإجرائية القائمة على جوانب معرفية وأخرى نقدية، لهذا وذاك سنتتبع دورة حياة -cycle de vie- مصطلح "إيديولوجيا/idéologie"و هذا من خلال اقتفاء جينيته الفكرية و النقدية، التي تناولها بعض المفكرين بالدرس والتحليل من قبيل:دوتراسي /لينين /بيلسنكي وغيرهم، مرورا بالإطار المفاهيمي الماركسي النقدي، الذي أرسى دعائمه كل من: ماركس /إنجلز /آلتوسير وغيرهم وصولا إلى مدلوله المفهومي النقدي السوسيولوجي، الذي تجلى في بعض الكتابات النقدية السوسيولوجية الأدبية الحديثة، بحيث انتهى إلى إطار تداولي مصطلحي سوسيولوجي عُرف بـ:رؤية العالم/vision du monde - مما يعني أن مصطلح الإيديولوجيا، قد اكتسى إطارا نقديا أدبيا اجتماعيا ضمن مسارات الخطاب النقدي البنيوي السوسيولوجي، و هذا ما تجلى في كتابات

كل من :غولدمان/باختين/زيما وغيرهم، من أجل ذلك راح"عبد الله العروي"يؤكد على هذا التحول التكويني النقدي الذي أصاب المصطلح وهذا في معرض حديثه عن"مفهوم الإيديولوجيا"من منطلق أن تكوينية المصطلح تحيل على تحول مدلوله النقدي الفكري إلى النقدي السوسيولوجي.

الكلمات المفاتيح:إيديولوجيا/رؤية العالم/وعي/تكوينية/سوسيولوجية/فكرية/نقد اجتماعي

مدخل

يسجل الباحث ضمن مسار الحركة النقدية العربية ، ذلك الاحتشام النقدي في مجال دراسات - علم المصطلح - Terminologie -عموما و المصطلح السوسيولوجي –كالإيديولوجيا/الرؤية الكونية/الرؤية للعالم وغيرها - خصوصا وهذا باستثناء بعض الكتابات و الدراسات التي نجدها عند كل من: عبد الله العروي في مؤلفه:مفهوم الإيديولوجيا❖، و عمار بلحسن❖ في كتابه:الأدب والإيديولوجيا ، وفاروق العمراني في كتابه:النقد والإيديولوجيا❖ والسعيد بن كراد في مؤلفه :نحو سيميائيات للإيديولوجيا❖ ، لكن ما يلاحظ على هذه الكتابات النقدية أنها لم تعتمد منهجية واضحة المعالم في طرق دراسة المصطلح كالبعد التكويني التداولي النقدي السوسيولوجي الذي أخذه فيما بعد كل من:الإيديولجيا / رؤية العالم"،ومن ثمة فهي إشارات عامة للمصطلح أكثر منها كتابات متخصصة، فعلى الرغم من إدراك الباحثين والنقاد للأهمية المعرفية والنقدية لهذا الفرع من الدراسة ، لاسيما في تحديد الأصول المعرفية والثقافية والاجتماعية والدلالية

والترجمية والنقدية لاستعمال المصطلح، إلا أن الاضطراب المصطلحي والمفهومي قد فرض نفسه بقوة في بعض الكتابات النقدية الأدبية. فهل مرد هذا إلى عدم القدرة على احتواء تكوينية المصطلح معرفيا ونقديا و ترجميا بين المفكرين والدارسين والنقاد؟ وإذا كان الأمر كذلك, فهل يعني أن التداولية النقدية لكل من :"الإيديولوجيا والرؤيا للعالم"بين البحاثة والنقاد قد عرفت هي الأخرى فوضى معرفية و أخرى نقدية ،مما يعني أن تداوليتها بين النقاد قائمة على صلتها بالإطار المعرفي الفكري أكثر منها بالنقدي الأدبي ؟أم أن المفهوم التهكمي الذي التبس هو الذي جعل الباحثين والنقاد لا يكترثون به ضمن مختلف أبحاثهم المعرفية والنقدية الأدبية ،وبناء علية ستكون هذه الأسئلة وغيرها أرضية معرفية نقدية تقوم عليها هذه الدراسة الراهنة من منطلق فهم وتفسير مختلف المسارات التكوينية المفاهيمية لمصطلح كل من:الإيديولوجيا والرؤية للعالم من خلال ما عكسته بعض الكتابات النقدية الغربية والعربية الحديثة ضمن الخطاب النقدي الأدبي الحديث و المعاصر .

لعل الاهتمام بعلم المصطلح تنظيرا و تطبيقا يمنح الدارس/ الناقد مشروعية الممارسة النقدية الموضوعية، ذلك أن البحث في الأصول المعرفية والثقافية للمصطلح تجعل الكتابة النقدية أكثر فعالية، فمعروف أن المصطلح لا يقوم من فراغ و إنما له مرجعياته الثقافية والحضارية والمعرفية و النقدية ، فهو يقوم في الغالب بترميم بقايا بعض الكلمات وتكملة ما ينقصها حتى تصبح قابلة للتداول والاستعمال بين النقاد والدارسين، إذا فالرجوع إلى "تكوينية المصطلح"تعطي للباحث حق تبني نقد بنّاء و فعّال، وعن الأهمية التكوينية المعرفية والعلمية النقدية للمصطلح يشير صراحة عبد السلام المسدي إلى أن

: " مفاتيح العلوم مصطلحاتها ، و مصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية و عنوان ما به يميز كل واحد منه عما سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ..."[1] (المسدي.ع.1984.11.) بل ويذهب أكثر من ذلك إلى أن تكوينية المصطلح مهما كان جنسها و نوعها تعتمد في تميز بناء دلالته المفهومية والإصطلاحية النقدية على تلك المواضعة العلمية بين البحاثة/النقاد كأسلوب للتداول و الاستعمال للمصطلح، وبعبارة أخرى تتضاعف هذه المواضعة أكثر فأكثر وبشكل مكثف حين يدخل المصطلح دائرة التداول والاستعمال النقديين بين الدارسين، وهذا ما يعطي له حضورا علميا نقديا متميزا وموضوعيا ، ويجعل وظيفته في الخطاب النقدي فعالةومنتجة ، وفي هذا السياق تتحدد وظيفة المصطلحية عبر مستويات مختلفة باعتبارها تلك : " الدراسة الميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية ويشتمل علم المصطلح من جهة على وضع نظرية ومنهجية لدراسة مجموعات المصطلحات وتطورها ، ويشمل من جهة أخرى جميع المعلومات المصطلحية ومعاملتها ، وتقييسها عند الاقتضاء سواء كانت هذه المعلومات أحادية اللغة أم متعددتها ..."[2](القاسمي.ع .1985.217)، بمعنى أن وظيفة المصطلحية تتنوع بتنوع الحقول التي تلجها ، فقد تكون فكرية كما قد تكون أدبية سوسيولوجية ، أي أن الدلالة المفهومية للمصطلح تكون مقترنة أكثر بمختلف الأنشطة الفكرية والفنية والنقدية التي يتمثلها الأفراد في حياتهم الثقافية ، وفي جانب آخر هي نظرية في المعرفة و منهجية نقدية علمية تهتم بالوظائف المفهومية و المفاهيمية للمصطلح، إضافة إلى اهتمامها بالأساليب الترجمية والطرائق التداولية التي يعتمد عليها الدارس في

معالجة المصطلحات سواء أكانت فلسفية أم نقدية أدبية، وهي وفق ذلك تبحث في أهم علاقات التداخل بين المفاهيم التي تملكها الكلمات، وهذا ما جعل الاهتمام بهذا الفرع من الدراسة ضروريا للممارسة النقدية، لأنه يمنحها نشاطا فعالا ومنتجا وارتقاء نوعيا في الكتابة النقدية الحديثة ، وعلى هذا الأساس سنحاول معاينة إشكالية التعدد المفاهيمي لمصطلح كل من "إيديولوجيا" بدءا من المفهوم الفلسفي الماركسي وصولا إلى المفهوم السوسيونقدي الذي أفرز "رؤية العالم" ، بمعنى آخر من فلسفة الإيديولوجيا إلى سوسيولوجيا رؤية العالم بحيثآلت فيما بعد إلى مقولة إجرائية حاول في ضوئها النقاد فهم وتفسير الكثير من الأعمال الفكرية والأدبية والفنية والنقدية .

1 ـ عن تاريخية مصطلح: إيديولوجيا

ظهر مصطلح إيديولوجيا/ideologie أول مرة في بعض كتابات(destutdetracy) "ديستوت دوتراسي سنة 1802 "3(سبيلا.م/بن عبد العالي.ع.40:1999) ، ثم استعمله بعد ذلك "نابليون" حين أطلق على أعضاء أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية اسم "الإيديولوجيين" ، و عليه فإن أصل هذه الكلمة إغريقي ، ينقسم جذرها اللغوي إلى قسمين : IDIO : وتعني الفكر ، و LOGIE : و تعني العلم ، بمعنى "علم الأفكار" ، هذا الذي استحدثه "دوتراسي" كفرع علمي جديد يهتم بدراسة الأفكار البشرية دراسة علمية و موضوعية بعيدة عن كل أنواع الخيال والعواطف ، بمعنى تخليص الفكر البشري من جميع الأوهام التي تطبع حركيته، وذلك بتفكيك الأفكار المركبة لإظهار دلالتها الحقيقية ، ومن ثم يسهل فهمها

واستعمالها بشكل دقيق بين أفراد الجماعة البشرية مما يجعلهم يتمثلون هذا النظام الفكري في حياتهم الإجتماعية و الفكرية والثقافية.

ولعلّ الاهتمام بهذا الفرع من الدراسة الفكرية من قبل "دوتراسي" ، هو ما أعطى للمصطلح مشروعية الدراسة ومن ثم التداول والانتشار بين المفكرين والباحثين ، الذين اعتبروه :" نسقا من الآراء والأفكار السياسية و القانونية و الأخلاقية و الجمالية و الدينية و الفلسفية "[4](روزنتال.م/يودين.ي.526:1974) ، بمعنى أن هذه الأنساق الفكرية تشكل البنية الفوقية للمجتمعات البشرية ,و من ثمة فهي تمارس تأثيرا على حياتهم الفكرية والفنية ,بل وأكثر من ذلك أنها نسق من الأفكار تخترق مختلف البنى الفكرية والفنيةوالنقدية'لهذه الاعتبارات و غيرها فقد أخذ مدلولها ضمن الحركة الفكرية والنقدية الأدبية تعددا مفاهيميا ومفهوميا انتهى إلى مقولة رؤية العالم ضمن الدرس النقدي السوسيولوجي الحديث .

1 - المدلول الماركسي للايدولوجيا

يعد (karl marx) " كارل ماركس " أول من استعمل مصطلح ايديولوجيا في مجال "علم الإجتماع"، و قد تجسد ذلك من خلال مقال له بعنوان :" الإيديولوجيا و الطبقات" المندرج ضمن كتاب(l; ideologie marx-engles- allmande)❖. وقد كان يعني به تلك المنظومة الفكرية التي تتميز بها جماعة بشرية عن أخرى. والتي تعتمد في تحليلها للواقع على تلك الأفكار النظرية المشبعة بالأوهام والمتسمة بالسلبية، والتي لا تنفصل عن الواقع، بل ويعتمد تحليلها على الحتمية الاجتماعية والتاريخية للفعل الفكري الاجتماعي. وهو ما جعل " ماركس " ينظر إلى الايدولوجيا

كوعي زائف /خاطئ تتميز به طبقة اجتماعية عن أخرى ، خاصة من حيث رؤيتها للواقع الممكن، بمعنى آخر أن الإيديولوجيا تظهر كممارسات فكرية سلبية تتمفصل ضمن دائرة الفعل الاجتماعي وكذا الفني ، إنها ظاهرة اجتماعية مشروطة بحركة تاريخية واجتماعية ، وهو ما يجعل عملية : " إنتاج الأفكار والمفاهيم والوعي تتداخل تداخلا مباشرا مع العلاقات المادية للإنسان ... بل وتبدأ من الإنسان في نشاطه الفعلي "[5](إيجليتون.ت.13:1989) ، بمعنى أن عملية إنتاج الأفكار في المجتمع تكون مشروطة أو في علاقة مباشرة بالحركة التاريخية والاجتماعية للفعل الاجتماعي و الثقافي ، الذي يفرز وعيا إيجابيا أم سلبيا ، فالأول لا يعرف الثبات والسكون ؛ إنه وعي يتسم بالدينامية ، أما الثاني فهو وعي زائف/سلبي مملوء بالأوهام والأكاذيب ، هذا ما جعل "ماركس" ينظر إلى الإيديولوجيا على أنها :" انعكاس مقلوب ومشوه وجزئي ومبتور عن الواقع ، وهي بذلك تعارض الوعي الإنساني الحقيقي"[6](سبيلا.م/بن عبد العالي.ع.20.1999.) ، إذا فمدلول الإيديولوجيا وفق المنظور الماركسي يتمثل في تلك المنظومة الفكرية السلبية التي يمارسها الأفراد ضمن مختلف الأنشطة المعرفية والثقافية و الفنية .

وفي مقابل هذا التصور لمدلول الايديولوجيا ، يرى(louis-althusser) "لوي ألتوسير" أن الإيديولوجيا تمثل تلك البنية الجوهرية الفعالة في المجتمع ، وانطلق في تبريره لذلك من الدور الذي تؤديه الطبقات الاجتماعية في إنتاج الأفكار ، وعلاقة هذه الأخيرة بالمجتمع ، ففي مقال له بعنوان : " الأجهزة الإيديولوجية للدولة" ينطلق من مسلمة "ماركس" التي مفادها : أن وعي الأفراد بظروف وجودهم هو الذي يحدد أشكال وعيهم ، و من ثم بنية

فكرهم التي تتسم في أحايين كثيرة بالإيجابية والبعد عن تلك الخيالات والأوهام ، ومن هنا تتحدد الإيديولوجيا وفق رأي " ألتوسير" بأنها :" ليست شذوذا أو شيئا زائد في التاريخ ، إنها بنية جوهرية أساسية بالنسبة إلى الحياة التاريخية للمجتمعات، ووجودها والاعتراف بضرورتها وسيلة واعية فعالة في التاريخ "[7](سبيلا.م/بن عبد العالي.ع.1999:46) يضمن لها حضورها و تماسك بنيتها في المجتمع ، إضافة إلى أن أشكال الوعي التي تفرزها تحدد من خلال إدراك الأفراد للميكانيزمات الحقيقية التي تتحكم في ظروف وجودهم . ومن هنا تأخذ الإيديولوجيا شكل بنية جوهرية فعالة في المجتمع، بعيدة عن تلك الأوهام والخيالات، ولا تنطلق من غيبيات وأكاذيب، بل تمثل وجودا ماديا ووجودا خياليا، فالأول يتمثل من خلال تلك الصلات القائمة بين مجال الأفكار وارتسامها في الواقع الذي يتحرك ضمنه الأفراد، والثاني يتحدد عبر تلك العلاقات (الخيالية) الوهمية القائمة بين الأفراد في المجتمع التي يحاول كل من المفكرين والأدباء تمثلها في أعمالهم الإبداعية .

2 - المدلول السوسيولوجي للإيديولوجيا

من هذا المنظور السوسيولوجي يتحدد مدلول الإيديولوجيا انطلاقا من البنية الفكرية التي تتحكم في توجيه مختلف الأنظمة السياسية والقانونية والفكرية للمجتمع، هذه الأبنية تفرز بدورها وعيا جماعيا يتمثل في "رؤية العالم/vision du monde" تستجيب لتطلعات الطبقة الاجتماعية في المجتمع الواحد، وعبرها يتحدد النظام الفكري العام للطبقة الاجتماعية. وإذا كانت الإيديولوجيا ظاهرة اجتماعية فهي مصاحبة وملازمة للمجتمع وخاضعة للشروط الاجتماعية والمجتمعية، بمعنى أنها تابعة للعامل الاجتماعي وتظهر على شكل ممارسات فكرية في المجتمع، وهو ما جعل المشتغلين في حقل علم اجتماع المعرفة، ينظرون إليها كوقائع اجتماعية: "ينبغي دراسة

ماضيها ونشأتها وتطورها، ثم محاولة تقنين القوانين التي تتحكم في مسارها، على اعتبار أن الإيديولوجيات ظواهر خاضعة للشروط الاجتماعية "[8](قباري.م.د/ت:409)، ولقد تفرعت المعرفة الاجتماعية عند-(karl-mannhiem) "كارل مانهايم " عن نظرية مختصة في دراسة الايديولوجيا ، باعتبارها ظاهرة اجتماعية في المقام الأول ، كما أن حضورها فيه مشروطة بحتمية اجتماعية وتاريخية ،هذا ما يجعلها قابلة للدرس والتحليل العلميين ، بحيث أن فهم تكوينيتها، تعني تخليص الفكر البشرى من جميع الأوهام والخيالات الفكرية ، ومن ثم تأخذ مفهوم "الرؤية الكونية" للطبقة الاجتماعية ، و من ثم مدلولا اجتماعيا وتاريخيا يقترب إلى حد ما من مقولة "رؤية العالم" ، لذلك فإذا اعتبرنا أن هذه الرؤية مرتبطة بطبقة اجتماعية سائدة (إيديولوجيا سائدة) ، فإن الطبقة المضادة أو المسودة تحمل أفكار إيديولوجيا مضادة ، بمعنى أنها حاملة لـ "رؤية كونية" في حالة َتكون/بروز ضمن مسارات الحركة الفكرية والفنية .

وفي السياق نفسه يقسم "مانهايم" في كتابه "الايديولوجيا واليوتوبيا" الأفكار الاجتماعية إلى قسمين: أفكار إيديولوجية وأفكار طوباوية. فالأولى تمثلها طبقات قيادية، تمارس سلطتها الفكرية المطلقة مع محاولاتها الحفاظ على الأوضاع الاجتماعية السائدة، وفي هذا يقول:"أما الحالة الفكرية الايديولوجية، فتبقى فعالة في تحقيق الأوضاع القائمة والمحافظة عليها "[9](عبادة.ع..111.1984). أما الثانية فتمثلها طبقات مسودة أو مسحوقة تحاول تمثل رؤية طوباوية/مضادة للقيادية. و في هذا يؤكد على أننا:" لا نعتبرها كذلك إلا إذا نزعت نحو تحطيم الأوضاع القائمة والمسيطرة في هذا العهد تحطيما جزئيا أو كليا" [10](عبادة.ع.112.1984.) ، معنى هذا أنه

لمجرد اعتلاء الطبقات المحكومة "المسحوقة" ممارسة السلطة يأخذ نظام فكرها شكل إيديولوجية ، فتسعى بذلك إلى الحفاظ على سلطتها و مكانتها الاجتماعية لتكون كذلك ، وبالمقابل تظهر أفكار طوباوية تمثلها طبقات اجتماعية مسحوقة تسعى للوصول إلى ممارسة نظام فكرها الذي يأخذ شكل رؤية كونية مضادة ، تتطلع إلى تجسيد فعل أفكارها في المجتمع ، إذا فمفهوم :"الفكر الطوباوي يرجع إلى الاكتشاف المعارض المتعلق بالصراع السياسي ... وهي مهتمة بتهديم وتحويل بعض الظروف الموجودة في مجتمع ما"[11](سبيلا.م/بن عبد العالي..14.1999). بمعنى آخر أن كل طوبى تحمل أو تشكل رؤية كونية في المجتمع لها نظام فكري تتطلع من خلاله إلى ممارسة فعل أفكارها، ولعل ما نستشفه من تحليلات "مانهايم"، ذلك المدلول السوسيولوجي للإيديولوجيا الذي يتجلى من خلال فكرة التطلع القائمة على ارتقاء الوعي رؤية ، ومن ثم إلى فعل التغيير الذي يعني بناء "رؤية للعالم" تعتمد عليها الطبقة الاجتماعية في ممارسة فعل التغيير سواء أكان اجتماعيا/تارخيا /ثقافيا.

وعلى الرغم من ذلك يبدوأن "لوسيان غولدمان"(lucien-goldman)قد تجاوز إطار الإيديولوجيا إلى إطارمفهومي آخرالمتمثل في" رؤية العالم "، ومن ثم فقد طرح تصورا مفهوميا يتماثل فيه مدلول الايدولوجيا مع مدلول"رؤية العالم " ، مع محاولته التمييز بينهما بحدود فاصلة و متقاربة إلى حد ما ، و ما ينبغي أن نشير إليه أن "غولدمان" لم يعط مفهوما واضحا و صريحا للاديولوجيا ،هذا ما يجعل مدلول مفهوم الإيديولوجيا يتماها في كثير من الأحيان مع مدلول مفهوم رؤية العالم, فمن زاوية فهم "غولدمان" يعني بها ذلك :"العنصر الأساسي الملموس للظاهرة التي يصفها علماء الاجتماع منذ

عشـــرات الســـنين بمصـــطلح الايـــديولوجيا" [12] (غولـــدمان.1983.ص:25)و بالمقابـل فـإن مفهـوم الرؤيـة للعـالم ـ في نظـره ـ يمثـل : " مجموعـة التطلعـات والمشاعر والأفكـار التي تجمع بين أعضاء جماعة ما ـ وغالبا مـا تكـون هـذه الجماعة فئة اجتماعية ـ وهـذه الجماعـة تقـف مـع تعـارض الجماعـات الأخـرى "[13] (غولدمان.ل.1983.:26) إذا فالتركيز على مفهوم الوعي ، الذي يشترك فيه كـل مـن مفهـومي الإيـديولوجيا ورؤيـة العـالم يقربنـا مـن تجسـيد فكـرة التماثل بينهمـا الـتي رفضـها "غولـدمان" في أحـايين كـثيرة ،لـذلك فقـد حـاول تغييب فعل الإيديولوجيا في الأعمال الأدبية ، إلا أنه يماثل بينهما ضمنيا على مستوى دائـرة الفعـل الاجتمـاعي ، فكـلاهمـا يعتمـد علـى ذلـك الـوعي الـذي تعتمده الطبقة الاجتماعية في ممارسة نظام أفكارها في المجتمع .

لقد تجـاوز "غولـدمان"مفهوم الإيـديولوجيا إلى مفهـوم رؤيـة العـالم، ممـا يعـني أنــه ألغــى فعــل الإيــديولوجيا مــن دائــرة الفعــل الاجتماعي/الثقــافي وهــذا باعتبارهـا انتاجـا لـوعي فـردي قـائم علـى رؤيـة محـدودة،في حـين أنـه اعتبـر أن رؤية العالم هي إنتاج لوعي جماعي ممتاز تجاوز الإطار الفردي والذاتي لذلك فإن : " الوعي الجماعي لا يكون حاضرا إلا انطلاقا من الوعي الفـردي "[14] ،(غولـدمان.ل.1983.27) هـذا مـا يعـني في جانـب آخـر إلى أن الايـدولوجيا نظـام مـن الأفكـار قـد يـؤول إلى رؤيـة للعـالم مـن خـلال ارتقـاء منظومـة الوعي.لذلك فهمـا يشـتركان في تمثل درجـات الـوعي بحيـث(أن الإيـديولوجيا تتمثل وعيا فرديا زائفا في حين أن رؤية العالم تتمثل وعيا جماعيـا ممكننـا)و بـين هـذه وتلـك فـإن الـوعي الإيـديولوجي مـرتبط أشـد الارتبـاط بالشـريحة الاجتماعيـة في حـين أن الـوعي الجمـاعي مـرتبط بالطبقـة الاجتماعيـة الـتي تتطلع إلى رسم أفق لرؤيتها للعالم من خلال الأخذ بجوانب الحياة الفكرية

والمادية السائدة في المجتمع هذا ما يجعل الإيديولوجيا تتموضع ضمن إطار فكري ضيق ومحدود الأفق.في حين أن رؤية العالم فهي متموضعة ضمن إطار الوعي الجماعي الممتاز والقائم على التغيير في المجتمع.

من خلال هذه المقارنة المفاهيمية بين الإيديولوجيا ورؤية العالم نخلص إلى أن "غولدمان" يستبعد فكرة التماثل بينهما، على الرغم من تقاربهما وتماثلهما ضمنيا، خاصة على مستوى الفعل الاجتماعي. لكن الاعتماد على فكرة فعل التطلع، وعلى مفهوم الوعي الجماعي الممتاز، يجعلنا نعتقد مرة أخرى أن الإيديولوجيا هي امتداد مفاهيمي لمدلول رؤية العالم، خاصة في مجال ممارسة الفعل الاجتماعي، وتأكيدا على فكرة التماثل بينهما يقول(antonio-gramsci) "أنطونيو غرامشي":" إن الإيديولوجيا هي تصور للعالم يتجلى ضمنيا في الفن والقانون، وفي جميع ظاهرات الحياة الفردية والاجتماعية" [15](بيوني.ج.182.1975)هذا ما يشير إلى أن إيديولوجية المبدع تتجلى في العملية الإبداعية وفق رؤية إيديولوجية ممتازة تأخذ شكل رؤية للعالم ، وبذلك يغيب "غولدمان" الإيديولوجيا من دائرة الفن ، ويماثلها بمقولة "رؤية العالم" ، وفي سياق الفصل بينهما نجده في مواضع كثيرة يماثل بينهما وهذا ما ذهب إليه حميد لحمداني بقوله : " على الرغم من كل المحاولات للتمييز بين الإيديولوجيا و رؤية العالم ، فإنه لا يمكن الإدعاء بأن الرؤية للعالم هي تصور كامل للواقع الذي ظهرت فيه ، لأنها ومهما بلغت قدرتها على استيعاب مختلف التصورات المتعايشة في المجتمع ، فإن قيمتها في نهاية الأمر ستبقى مختصرة في التصور الحضاري للمجتمع الذي نشأت فيه وهي لذلك تبقى ذات طابع نسبي"[16](لحمداني.ح.1991..:23) ، ذلك أننا إذا تتبعنا الأطر المفاهيمية للايدولوجيا ومساراتها الفكرية داخل الطبقة

الاجتماعية نجدها قاصرة عن تكوين رؤية كاملة وشاملة للواقع الذي يتجاوزها من خلال تلك الحركية التي يتسم بها الفعل الاجتماعي ، وكذلك رؤية العالم ، فعلى الرغم من اتسامها بالشمولية والموضوعية تبقى عاجزة إلى حدّ ما عن احتواء الواقع ؛ لأنها حبيسة لعبقرية كبيرة تتجاوز الواقع وتحتويه في كل أبعاده مما يجعلها نسبية في تصورها للواقع. فكلاهما نسبي في تصور رؤية كاملة للواقع، وهو ما يجعلنا نعتقد أن مفهوم الايديولوجيا يقترب إلى حد ما من مدلول رؤية العالم، مما يعني أن المماثلة بينهما ممكنة ومحتملة خاصة في مجال ممارسة الفعل الاجتماعي والثقافي والفني.

ويندرج ضمن هذا السياق المفاهيمي من رؤية العالم ذلك المفهوم الشمولي للإيديولوجيا الذي عقده "عبد الله العروي" من خلال كتابة "مفهوم الإيديولوجيا" ، ففي محاولته تحديد الاستعمالات المصطلحية والوظيفية المختلفة لمدلول مصطلح إيديولوجيا فقد ماثله "العروي" بكلمة "أدلوجة" ، ما يعني أنه يستعمل مصطلح"أدلوجة" لا المدلول العام للإيديولوجيا ، فهي على حد قوله: "منظومة كلامية سجالية تحاول رغبة ما إن تحقق بواسطتها قيمة ما : باستعمال السلطة داخل مجتمع معين "[17](العروي.ع.13.1993)، ذلك أنها تمثل ذلك النظام الفكري السجالي (الجدلي) ، الذي تعتمده الطبقة الاجتماعية كوسيط من أجل تمرير أفكارها ، ومن ثم الوصول إلى ممارسة فعل أفكارها في المجتمع، و من هنا تتحقق رغباتها وقيمها التي تظهر على شكل إيديولوجية موسومة باسمها.

وما ينبغي أن نشير إليه أن الإيديولوجيا تتنوع معانيها مع "العروي"، إذ تظهر في:"معنى القناع السياسي، وفي معنى رؤية كونية، وفي معنى معرفة الظواهر" [18](العروي.ع.13.1993)، أي أن الإيديولوجيا تأخذ شكل أنظمة مختلفة تظهر وفق "أدلوجات" تكون حاملة لنظام فكري جزئي متضمن في الإيديولوجيا، فهذه الأنظمة الفكرية الجزئية حسب تقسيم العروي ثلاثة أنواع وهي:

- الإيديولوجيا / قناع سياسي:

فهي ذلك النظام الفكري ذو العلاقة بالنظام السياسي خاصة الحزبي منه، هدفه كسب أكبر عدد من الأنصار مع إخفاء مصالحها الحقيقية بالنسبة لخصومها، ومع كشف الحقائق لمعتنقيها، فهي تخفي حقيقة أفكارها لتمرير مصالحها الحقيقية، وفي السياق نفسه يؤكد على أنها:" نظام من الأفكار تتضمن تقريرات وأحكاما ما حول المجتمع، وعن مصلحة تهدف إلى إنجاز عمل معين وتقود إلى نظرية نسبية فيما يتعلق بالقيم"[19](العروي.ع.1993..:14).

- الإيديولوجيا / رؤية كونية

بمعنى أنها ذلك النظام الفكري : "الذى يحتوى على مجموعة من المقولات والأحكام حول الكون ، تستعمل في اجتماعات الثقافة لإدراك دور من أدوار التاريخ ، وتقود إلى فكر يحكم على كل ظاهرة إنسانية بالرجوع إلى التاريخ كقصد يتحقق عبر الزمن ."[20](العروي.ع.1993..:13) ، وهو ما يشير إلى أنها تمثل ذلك النسق الفكري الممتاز ، الذي يحمل رؤية فعالة تستجيب لتطلعات وأفكار الطبقة الاجتماعية ضمن السيرورة التاريخية ،

إنها نظرة مشروطة بحركية تاريخية وأخرى اجتماعية ، فهي عكس السياسة المشبعة بالنظرة الضيقة والذاتية . وعلى العموم فإن هذا النمط من الايدولوجيا بعيد عن أي توجه سياسي، وهي فوق ذلك إيديولوجيا ممتازة:" ... استعملها الفلاسفة كـ "هجيل " و " غولدمان "" بوجه خاص، حيث تعني منظومة فكرية تعبر على الروح التي تحفز حقبة تاريخية ... وكخطة واعية بذاتها "[21]،(سبيلا.1999.ص:20) بمعنى أن الرؤية الكونية تمثل ذلك النظام الفكري الرفيع والممتاز الذي تمارسه الطبقة الاجتماعية ويعبر عن تطلعاتها وآفاقها المستقبلية الحقيقة.

- الايديولوجيا / نسق ابستيمولوجي

فهي تمثل ذلك النسق الفكري المعرفي العلمي الذي يسعى إلى:" معرفة الظواهر الآنية والجزئية، مجاله نظرية المعرفية ونظرية الكائن " [22].
(العروي.ع.1993.:82) بمعنى أنه نمط فكرى علمي معرفي مهمته البحث في ماهية الكون والكائن على السواء. كما أن هدفها من وراء ذلك هو تخليص الفكر البشرى من جميع تلك الأوهام والأكاذيب التي تصاحبه، وهي تعتمد في ذلك على منهجية علمية من تحليل الظواهر الفكرية والمادية للمجتمع.

ومما سبق ذكره، يمكن أن نصوغ المعادلة السوسيوإيديولوجية، فإذا كانت الإيديولوجيا حاملة لرؤى طبقية وبراغماتية فهي تأخذ شكل قناع ذي توجه سياسي. أما إذا كان نظام أفكارها يحمل وعيا جماعيا ممتازا فهي تأخذ شكل رؤية للعالم. أما إذا كان نظام أفكارها علميا وموضوعيا وهادفا للتحليل العلمي والمعرفي للكون والكائن فإنها تأخذ شكل نسق معرفي إبستيمولوجى.

يبدو أن الإطار التكويني المفاهيمي والمفهومي لمصطلح "إيديولوجيا" متعدد ومتنوع بل ومتباين بين المفكرين والدارسين والنقاد ، وهذا ما صعب من احتوائه معرفيا ونقديا ,بل إن استهجان مفهومه من قبل بعض البحاثة هو ما جعل العزوف عنه ممكنا ومحتملا من طرف بعض النقاد ومن ثمة دخل المصطلح في تعدد مفاهيمي ومفهومي ,لهذا وذاك حاولنا تتبع أهم المسارات المفهومية والمصطلحية للإيديولوجيا بدءا من المدلول الماركسي ثم المدلول السوسيولوجي وصولا إلى المدلول السوسيو النقدي من خلال ما أقره بعض البحاثة والنقاد ,وهذا من أجل وضع حدود مفاهيمية ومصطلحية له ضمن إطار خطاب النقد الأدبي السوسيولوجي,لذلك بقي مصطلح الإيديولوجيا يبحث عن أرضية نقدية تعطيه مشروعية الممارسة ضمن مختلف الدراسات النقدية الأدبية الحديثة والمعاصرة.

- الهوامش

- ❖لوسيان غولدمان:مفكر وباحث ولد ببوخاريست"رومانيا"عام1913درس بها وتحصل على على ليسانس في القانون ثم درس الفلسفة لمدة سنة ثم انتقل إلى باريس عام 1934و هناك تحصل على ديبلوم الدراسات العليا في القانون العمومي بكلية الحقوق بباريس ثم على ليسانس في الآداب من جامعة السوربون ,اشتغل كمكلف بالبحوث في مركز البحث العلمي بباريس و في عام 1956تحصل على الدكتوراه في الآداب من الجامعة نفسها ,عين بعد ذلك مديرا للدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا ,وافته المنية عام 1970و لقد استمد غذاءه الروحي من فكر "هيجل"و ماركس" ولوكاتش"وغيرهم

- ❖العمراني.فاروق.1995 :النقد والإيديولوجيا.بحث في تأثير الواقعية الإشتراكية في النقد العربي الحديث'منشورات كلية العلوم الإنسانية بثونيةسلسلة8'مجلد09'تونس.(ينظرالفصل السادس الذي أفرده للحديث عن الإيديولوجيا)
- ❖بلحسن عمار.1984 :الأدب والإيديولوجيا.المؤسسة الوطنية للكتاب.د'ط' الجزائر..(ينظرالقسم الثالث ،بحيث تحدث فيه عن الإيديولوجا والرؤية الكونية)
- ❖بن كراد السعيد.1996 .نحو سيميائيات للإيديولوجيا.دار الأمان.ط1.المغرب..(ينظرالفصل الثاني الذي تحدث فيه عن الفرق بين الإيديولوجاوالأكسيولوجيا)
- ❖"رؤية العالم":هي مجموع التطلعات والمشاعر و الآراء التي تضم أفراد مجموعة اجتماعية بحيث تجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى فيتولد تيار حقيقي لدى مجموعة يحققون جميعا هذا الوعي بطريقة واعية ومنسجمة وملتحمة .لذلك فهي مقولة مفتاحية في منهج "غولدمان"
- ❖(voir.marx-engles.1968.l;ideologie allmande.editions.social.paris. p.20).

1. المسدي عبد السلام.1984.قاموس اللسانيات. الدار العربية للكتاب. تونس.
2. ينظر.القاسمي علي.1985. مقدمة في علم المصطلح. وزارة الثقافة والاعلام. بغداد.
3. ينظر: مجموعة من المؤلفين. الإيديولوجيا. دفاتر فلسفية. ترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي. دار طوبقال. ط1. المغرب: 1999.
4. روزونتال م. يودين ي. الموسوعة الفلسفية. ترجمة: سمير كرم. دار الطليعة. ط1. بيروت : 1974.
5. إيجليتون.تيري.1989. الماركسية والنقد الأدبي. ترجمة: جابر عصفور. دار قرطبة للطباعة والنشر. ط1المغرب.

6. مجموعة من المؤلفين. دفاتر فلسفية. (المرجع السابق)
7. المرجع نفسه.
8. محمد إسماعيل. قباري. قضايا علم الاجتماع المعاصر. دار المعارف. الإسكندرية. د.ط. د.ت.
9. عبادة.عبد اللطيف. اجتماعية المعرفة الفلسفية. المؤسسة الوطنية للكتاب. ط1. الجزائر: 1984.
10. المرجع نفسه.
11. مجموعة من المؤلفين. دفاتر فلسفية. (المرجع السابق)
12. Goldman .Lucien1983. Le Dieu Cachée. Edition. GALLIMARD. Paris.
13. Ibid. p: 26.
14. Ibid. p : 27.
15. بيوني. جون مايك.1975. فكر غرامشي السياسي. ترجمة: جورج طرابشي. دار الطليعة. بيروت.
16. لحمداني. حميد.1991. النقد الروائي والإيديولوجيا. المركز الثقافي العربي. ط1. بيروت.
17. العروي. عبد الله.1993. مفهوم الإيديولوجيا. المركز الثقافي العربي. ط5. المغرب.
18. المرجع نفسه.
19. المرجع نفسه.
20. المرجع نفسه..
21. مجموعة من المؤلفين. دفاتر فلسفية. المرجع السابق.
22. العروي. عبد الله.مفهوم الإيديولوجيا.

Résumé

Les parcours génétiques des conceptes du terme sociocritique
De l'idéologie à la vision du monde

La présente étude, intitulée "Les parcours génétiques des concepts du terme sociocritique, de l'idéologie à la vision du monde, s'inscrit dans le cadre des études littéraires sociocritiques modernes qui mentionnent quelques cadres critiques étant nécessaires à l'équilibre de la terminologie, comme l'usage critique du terme qui est suivi par la conservation de ses cadres conceptuels et processuels basés sur deux genres de côtés les uns cognitifs et les autres critiques. Pour cela, on va suivre le cycle de vie du terme "idéologie "et cela se fait par étudier sa formation spirituelle et critique qui a été étudiée et analysée par un certain nombre d'intellectuels entre autres Detrasy, Lénine ...en passant par le cadre conceptuel critique de Marx qui a été appuyé par Marx ,Angles...etc pour arriver à sa signification conceptuelle sociocritique traitée dans quelques écrits littéraires sociocritiques modernes en l'étudiant dans un cadre pragmatique terminologique connu par la vision du monde. Cela explique que le terme Idéologie a été étudié dans un cadre littéraire sociocritique durant le parcours du discours structural sociocritique. Ce qui a été traité dans les écrits de : Goldman, Bakhtine,..etc. cette réalité a poussé Abdellah Arraoui pour mettre en relief cette transformation constitutive qui a touché le terme quand il a parlé de la notion de l'idéologie qui est transformation constitutive traduisant la transformation de sa signification critique spirituelle à une signification sociocritique.

Les mots clés :
Idéologie, transformation génétique, sociocritique. La vision du monde, sociocritique, sociologique, spirituel.

Abstract

Genetics cycles of the notions socio-critical term From ideological to the world vision

This research, tilde "genetics cycles of the notion socio-critical term-from ideological to the world vision- is included in The Modern literary sociocritical studies mentioned in some critical studies which are important for an equal terminology as the critical use of the term followed by maintaining the field of concepts and measures based on two kinds of sides: cognitive sides and critical ones. For doing that, we will follow the life cycle of the term ideology by studying its critical and spiritual formation which was studied and analyzed by some intellectuals as Detrasy and Lenin going through The conceptual and critical frame done by Marx that has been supported by Marx, Angles...etc in order to reach a socio-critical and conceptual notion dealt in some of the literary and socio-critical modern writings which studied it in a terminological pragmatic frame known by the world vision. That explains that the term Ideology was studied in a literary and socio-cultural field during the progress of the structural and socio-critical discourse. That was dealt in some of the writings of Goldman, Bakhtine...that pushed Abdellah Arrawi to highlight this constitutive modification which touched the term when he spoke about the notion of Ideology that is the constitutive modification translating the modification of its critical and spiritual concept to a socio-critical notion.

Key words:
Ideology, genetic modification, Socio-critical, the world vision, sociological, spiritual.